دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	صور التناص فى روايات يوسف المحيميد
المصدر:	مجلة الدراسات الشرقية - جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية - مصر
المؤلف الرئيسي:	العمرى، زهير بن حسن
المجلد/العدد:	ع55
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	يوليو
الصفحات:	247 - 277
رقم MD:	708373
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex
مواضيع:	الرواية العربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/708373

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

صور التناص
في روايات يوسف المحيميد

د.زهير حسن العمري(*)

مدخل :

لماذا الكاتب يوسف المحيميد [1]؟

يعد يوسف المحيميد أحد أهم الأسماء الروائية المعاصرة في السعودية ، وهو من أكثر الكتاب نتاجاً سردياً؛ حيث صدرت له أربع روايات، وست مجموعات قصصية، منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي.

وتميزت تجربة المحيميد السردية ، وخصوصاً في حقل الرواية ؛ حيث رصدت التحولات السياسية والثقافية، والاجتماعية في العقود الثلاثة الماضية ، وتفاعلت روايات المحيميد مع الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الخليج من خلال استدعاء هذه الأحداث في رواياته بالتوازي مع المشاهد الاجتماعية التي كانت لا تنفصل عن الأحداث السياسية والاجتماعية .

وقد حمل المحيميد على عاتقه أن يكتب روايات هي أقرب ما تكون إلى درجة البوح بما هو موجود من ناحية وبما هو مأمول من ناحية أخرى، والذي يتمثل بالصعود بالإنسان إلى أعلى مراتب الحرية.

يكتفي " المحيميد" بهذه الرؤية فهمه لمفهومي الحركة والسكون من خلال آلية التناص.إنهما ليسا مجرد فعل ميكانيكي يأخذ شكل الانتقال من حالة إلى حالة، وإنما هما حالة تفاعل اجتماعي وإنساني، في منتهى العمق.

---

* - أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية – جامعة نجران.

ولماذا التناص[٢] ؟

يعود سبب اختيار هذا الموضوع ؛ نظراً لأن التناص أحد المصطلحات المستحدثة في النقد العربي، والتي استغلها المحيميد ليؤكد على البعد الحركي القائم على ضرورة التغيير الاجتماعي والسياسي ، والثقافي ، والنفسي، ليرتقي بالانسان الى مستوى بناء مستقبل جديد هو على النقيض من كل ما يصور تناقضات الواقع ، وكذلك لعدة أسباب ، منها :

ـ أن التناص أداة مهمة لمقاربة النصوص الأدبية بشكل عام في القديم والجديد ؛ فهو أداة للتفاعل النصي بين الماضي والحاضر .

ـ أننا بواسطة التناص نستطيع أن ندرس علاقات النصوص بعضها ببعض .

وتسعى هذه الدراسة من خلال منهج وصفي تحليلي للإجابة عن تساؤلات منها :

- ما طبيعة العلاقة بين روايات يوسف المحيميد ؟
- ما حدود التداخل والتفاعل بين رواياته ؟
- ما أنواع التداخل النصي في روايات يوسف المحيميد ؟
- ما حدود التناص في شكل روايات يوسف المحيميد ومضمونها ؟

و دراستي لموضوع " التناص " في روايات " يوسف المحيميد " هو رغبة في تفكيك الرؤى المضمونية ، وللبحث في عمق الدلالة ، حيث حفلت رواياته بالكثير من الاقتباسات والتضمينات المختلفة حتى لا تكاد تخلو رواية من هذه الاقتباسات والاستشهادات .

وسأتبع المنهج التحليلي الفني في استعراض صور التناص وأنواعه ومصادره في روايات " يوسف المحيميد " بحيث يتم تحليلها ، وفرز مكوناتها وجزئياتها ، وتبين أوجه التناصات بين هذه النصوص المعاصرة ، والنصوص السابقة .

والحقيقة أن مصطلح " التناص كما ذكر "عبد العزيز حمودة " في كتابه " المرايا المحدبة " أن مصطلح التناص كان مصطلحاً جدلياً ، وكانت الرؤية حوله متناقضة لدى كثير من النقاد ، حيث " كان من أكثر المصطلحات مناقشة ودراسة ؛ حيث " لم تثر كلمة جدلا نقدياً شغل الحداثيين جميعاً قدر الجدل الذي أثارته كلمة Intertextuality . ربما يكون أحد أسباب الجدل في العربية هو غرابة المصطلح النقدي الذي نقلت عنه.فأحيانا تترجم إلى تناص ، وأحيانا إلى بينصية التزاماً بأمانة نقل المصطلح باللغة الإنجليزية"[٣] .

ويتفق " حمودة " مع ما ذهب إليه " رولان بارت " في " إن البينصية تقوم على تلك العلاقة بين النص الفردي ، وما يسميه " بارت " بالكتاب الأكبر The Book - مستخدماً الحرف الأكبر في الكلمة ـ وهو الكتاب الذي يضم كل ما كتب بالفعل . أي أن النص الحاضر يحمل في شفراته بقاياً، وآثاراً ، وشذرات من ذلك الكتاب الكبير ، وأنه الجزء من كل ما تمت كتابته "[٤] .

ومع اختلاف التسميات يظل المعنى الذي يقصد به " التناص" أو " البينصية " هو العلاقة التفاعلية التوليدية بين نص وآخر .

وعطفاً على ما سبق يبقى " التناص " أحد أهم المكونات البنيوية التي ينبغي دراستها في العمل الأدبي وفحصها ، ومعرفة أبعادها . "وإذا كان النص الأدبي هو لغة إيحائية؛ فإن دراسة التناص هي ما ينبغي أن تحل محل دراسة النص ؛ لأنها لا تهدف إلا إلى معرفة النص ، ولأنها هي المادة البنيوية في النص ، ولأن النص هو ملتقى نصوص عديدة ، ومكان تبادل يخضع اللغة للإيحاء"[٥].

ويرى " لحميداني " أن التناص أمر لا مناص له للمبدع خاصة في الأعمال الروائية " والتناص هو ضرورة حتمية لتعبير الذات عن نفسها ؛ لأن كل إجراء حواري بين الذوات يترتب عنه بالضرورة إجراء تناصي"[٦].

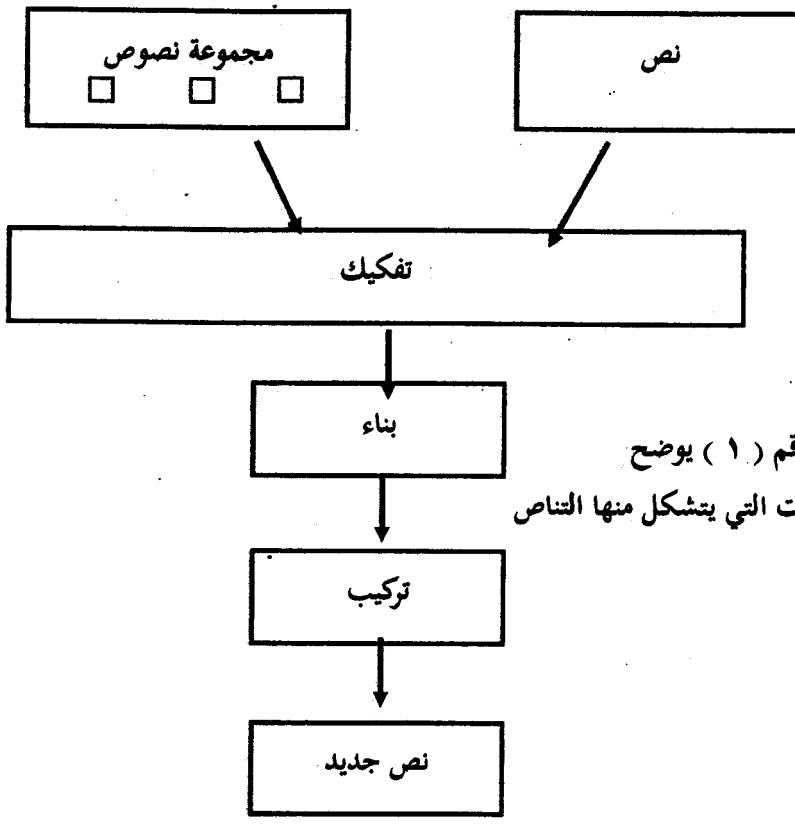

شكل رقم (١) يوضح
الخطوات التي يتشكل منها التناص

ويمكن القول بأن آلية تشكل التناص في النصوص تمر بعدة مراحل كما يوضحها الرسم التوضيحي بالأعلى ، ومن هذا المنطلق فإنه يمكننا القول بأن " الأديب أو الشاعر عند تشكيل نص جديد ، يلجأ إلى التناص من نصوص سابقة أو معاصرة ؛ فيأخذ المدد من فكرتها أو صورها أو تراكيبها، بحيث يغدو النص الجديد نتيجة وخلاصة لعدد من نصوص سابقة كان دور الأديب فيها إعادة صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها في حين يختفي الأصل الذي لا يتوصل إليه ولا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران " [٧].

أنواع التناص : للتناص أنواع مختلفة بحسب سياقه و موضوعه و مستوياته ، تنطلق من مفهومه الاصطلاحي ، وهناك عدة مفاهيم مكنت مصطلح " التناص " من الاستقرار المصطلحي ، وأوضحت طبيعة العلاقة التي تربط نصاً بآخر ، وهي[٨] :

المعرفة الخلفية : وهي التي تتحكم في إنتاج النص وتلقيه .

المبدع : وهو المنتج للنص .

السياق : الذي يحقق الاختلاف بين النص المزاح ، والنص الحَال .

المتلقي : هو الذي يقوم بتأويل النصوص ، وإدراك طبيعة تفاعلها .

المقصدية : وهي التي تحدد طبيعة التفاعل التي يقوم بها نص مع نصوص أخرى

آليات التناص : التوالد والتناسل والتواتر والمحاكاة والتحويل والمشابهة والمماثلة.

العلاقات النصية: المناص، والميتانص، والتعالق النصي ، وجامع النص ، والتناص .

وسنقف في هذا البحث على التناص الكلي في روايات المحيميد من خلال الوقوف على بنية التناص الأساسية في النص . إذ التناص حسبما يرى " باختين " يشمل جميع نواحي النص ، فهو " لا يعتد بالتناص اللفظي فقط ، بل يشمل التناص المعنوي والشكلي ، " ولا يقتصر الأمر على كون الكلمات قد استعملت دائما من قبل ، وكونها تحمل داخلها آثار استعمال سابق ، بل إن الأشياء نفسها قد لومست في حالة واحدة على الأقل من حالاتها السابقة ، من قبل خطابات أخرى لا يخفق المرء في أن يصادفها"[٩].

أولاً : التناص الداخلي

وهذا النوع من التناص يقصد به التناص الذاتي بحيث يتناص الكاتب مع نصوصه سواء كانت روائية أو قصصية أو شعرية أخرى بمعنى " نصوصه يفسر بعضها بعضاً ، وتضمن الانسجام فيما بينها ، أو تعكس تناقضاً لديه إذا ما غير رأيه "[١٠] .

ولما كان التناص أداة المحيميد في التعبير عن الإيقاع الساكن والرتيب داخل الواقع الذي يعيش فيه، فقد كانت تجربة "غسل الموتى " من أهم التجارب ، التي أقام عليها الكاتب تناصاته :

ـ أحداث حرب الخليج الثانية ١٩٩٠م: تناص زمني بين رواية " القارورة "التي جرت أحداثها في حرب الخليج ، وبين بعض أحداث رواية " الحمام لا يطير في بريدة " حيث كان" فهد السيفلاوي "في فترة طفولته لا تزال عالقة في ذهنه أحداث حرب الخليج الثانية في التسعينيات، ويتذكر الأحداث التي مرت لأبيه ، ووحشته من المكان في مدينة بريدة . " لم تكن بريدة مكان مألوفاً للصغير فهد رغم عيشه لأشهر وقت حرب الخليج مطلع التسعينيات" (١١) .

وفي النص السابق نجد أن الكاتب في هذا الجزء من المقطوعة حاول أن يعيد ويفكك النص ، لكنه لم يستطع أن يصل إلى حل في إعادة التشكيل من جديد ، ولا شك أن ذلك يعود لطبيعة النصوص الروائية ؛ فهي تخضع لصور ورموز وإشارات تحدث مثل هذه العلاقات التناصية بين النصوص الروائية خاصة إذا أخذنا بالاعتبار " إن تعدد الشخصيات في الرواية خاصة هو إجراء من أجل بعث حوارية متعددة الأطراف. وعليه فالتناص المقابل لا يعني ارتباط نصين فقط ، بل جملة من النصوص يجمعها على صعيد مشترك نص واحد " (١٢).

ونستطيع بالتناص تتبع منشأ الألفاظ وتطورها ، ونعرف من خلاله مدى تفاعلها مع السياقات والأزمنة المختلفة . ومما جاء من صور التناص في أعمال " المحيميد الروائية " من مثل :

ـ في مغسلة الموتى : حيث نلمح تناصاً في الفكرة بين روايتي " القارورة " و"الحمام لا يطير في بريدة " في مغسلة الموتى ، كانت حاضرة الطقوس في الروايتين ، وتوالدت الحكايات من خلال هذين المشهدين؛ حيث جاء في رواية القارورة "... وأطلقت أنبوب الماء في أنحاء الجثة ، وقد أخرجت من حقيبتها

بعض القوارير المغمورة بالمسك والخردل والكافور ، ثم بدأت تدعك الجثة وتدعو لها "[١٣] .

وتصوير مشهد غسل الجثة جاء وصفاً تفصيلاً للغاسلة ، وللمكان الذي تم فيه الغسيل وللجثة، وهذا المشهد تماماً يتناص مع رواية " الحمام لا يطير في بريدة " حيث جاء على لسان بطل روايته " بعد تكفينه أخرج فهد دهن العود ، وفكر بأن يمسح على قماش الكفن بالأنبوبة الزجاجية الصغيرة، لكن خاله إبراهيم أخذ من القارورة الصغيرة ، ورش منها قطرات داكنة على جثمانة "[١٤] .

والمشهد السابق يأخذ بعداً وصفياً أكثر عمقاً حيث وصف ألوان لبس غاسلة الجثث وهيئتها ، وكيف أصبح غسيل الجثث مجرد عمل روتيني لا يترتب عليه أي خوف أو ذعر من مواجهة الموت في كل يوم . " دخلت امرأة عجوز تلبس قميصاً أخضر محفوف الأكمام والصدر، بتطريز برتقالي ، وبيدين محنيتين ،استلمت جثة الجدة ، وانهمكت في عملها اليومي كغاسلة جثث موتى"[١٥] .

والتناص وقع في تصوير طريق الغسيل في المغسلة بطريقة تفصيلية " ثم بدأت تدعك الجثة وتدعو لها ، حتى علت دعواتها والروائح العطرة في سماء المطبخ ، وتسللت من شبك النافذة إلى سماء محفوفة برائحة البارود والقذائف "[١٦] .

ولما كان "التناص" أداة المحيميد في دمج تناقضات الواقع، والتعبير عن الإيقاع الرتيب داخل الواقع ؛ فقد كانت تجربة "غسل الموتى" من التجارب، التي قام عليها " التناص" عند الكاتب. حيث نلمح تناصا لهذه التجربة يتوزع بين روايتي "القارورة"، "والحمام لا يطير في بريدة "،إذ توالدت الحكايات من خلال هذين المشهدين، حيث جاء في رواية القارورة"..... وأطلقت أنبوب الماء في أنحاء الجثة، وقد أخرجت من حقيبتها بعض القوارير المغمورة بالمسك والخردل، والكافور، ثم بدأت تدعك الجثة وتدعوا لها"، ويعيد الكاتب هذا النص في رواية "الحمام لا يطير في بريده" حيث جاء على لسان بطل روايته: بعد تكفينه أخرج دهن العود، وفكر بأن

يمسح على قماش الكفن بالأنبوبة الزجاجية الصغيرة، لكن خاله إبراهيم أخذ من القارورة الصغيرة، ورش منها قطرات داكنة على جثمانه.

وكما نلحظ في المقطع السابق أن الكاتب ينتقد من خلال هذا التناص الإحساس بالسكونية والتبلد الذي أصاب المجتمع، حيث أصبحت تجربة غسل الموتى روتينا، يوميا، لا كما عهدناه تدمي القلوب حزنا، وتتسبب بمواجع لا يمكن نسيانها..

ـ ويمكن أن نرصد بعض التناصات القصيرة ـ والتي توزعت ما بين المباشرة ، وغيره المباشرة ـ بين هاتين الروايتين :

(أ) قوارير العطر ، وهذا تناص صريح ومباشر في الروايتين .

(ب) مكان الغسيل ، كان الغسل في مغسلة الموتى .

(ج) مشهد الصمت ، وهذا تناص غير مباشر تنبئ عنه خلفية المشهدين في الروايتين حيث كان المشهد صامتاً يسترجع فيها الكاتب أحداثاً قديماً ، ومستغرقاً في الوصف .

وفي رواية " نزهة الدلفين يتناص الروائي " المحميد " مع ذات المشهد في تصوير مشهد الجثة حيث تحضر الرائحة في لحظة الموت والبحث عن مكان الجثة " ... كأنما حواسه تقوده إلى رائحة البارود والرصاص ، ليبحث عن أنثاه الشهيدة"(١٧).

والكاتب في هذه التجربة يشير إلى القسوة التي أصابت قلوب الناس ، وافتقادهم للدفء العاطفي، وإن ظهر من شعر بقوة الموت ومايحدثه من ألم لا يوصف، فسيكون ضمن هذا المجتمع غريبا ومنبوذا،مما يضره إلى أن يكتم ألمه ، وينفس عنه بصمت ، ففي رواية " الحمام لا يطير في بريدة " يتكرر مشهد مغسلة الموتى في ثالث رواية من روايات المحيميد . " دخلت زوجتا العم ، أم ياسر ، وأم معاذ ، وهما تصحبان لولوة إلى المغسلة، فيما جلس " فهد" مقرفصاً، وقد لف غترته حول وجهه، وطفق يبكي بلا صوت " (١٨).

ويمكن ربط هذه التناصات في روايات يوسف المحيميد بالاضطرابات التي جعلت أدباء القرن العشرين يغيرون تعاملهم مع الواقع كما يرى " لحميداني " ؛ فلم يعد إحساسهم بالمكان يبعث في أنفسهم الشعور بالاطمئنان لذلك تغيرت نظرتهم إليه ، وكان موقفهم قد اتخذ شكلين جديدين :

أحدهما : يعتم عن قصد صورة المكان، ويقتصر على إشارات عابرة تدعو إليها الضرورة لإقامة الحكي .

ثانيهما: يبالغ في وصف التفاصيل بصورة يبدو معها العالم المادي ينوء بأشيائه وأماكنه على الأبطال"[١٩] .

ثانياً : التناص الخارجي

والتي يدين الكاتب بوساطتها السكون ،ويبحث عن الحركة والتغير ،والنضج الفكري فيحاول إسقاط القداسة عن الأخلاق الموروثة ،ويتخلص من مراجعه الاجتماعية حتى في العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة ، فكان من الطبيعي أن تظهر لديه المشاهد التي يحاول فيها كل من المرأة والرجل التخلص من سلطة المجتمع وجبروته، والمتمثلة بالاختلاء المحرم.

والتناص بين رواية " الحمام لا يطير في بريدة " ورواية " فسوق " يمكن استيضاحه من خلال تناص الأفكار بين النصين التي تأرجحت بين النقل الواقعي والرصد التاريخي للأحداث، ويمكن أن نحصره في هاتين الروايتين عدة صور مختلفة ومتنوعة .

ومن صور التناص تكرار مشهد الخلوة بين الرجل والمرأة؛ وهذا المشهد تتكرر في روايات سعودية كثيرة ، وربما تتكرر لدى بعض الروائيين في أكثر من رواية ، مثل روايات عبده خال ، وروايات يوسف المحميد ، كذلك نجد هذا المشهد يتكرر كثيرا في روايات الكتاب الشباب .

وجاء هذا المشهد في رواية " الحمام لا يطير في بريده "عندما قبضت الهيئة على فهد السفيلاوي عندما أصبحت فتاة معه في السيارة ، وتطابق هذا المشهد إلى حد كبير مع وراية " فسوق " لعبده خال نفس تفاصيل مشهد الخلوة بين رجل وامرأة " وفي الموعد المحدد كانت تجلس إلى جواره محبورة ، وهو يقود سيارة متهالكة منشغلاً بمفاتنها عن رؤية الطريق . طاف بها كورنيش جدة ، وقبل أن يستقر في مواجهة البحر اعترضتهما سيارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... " [٢٠].

ويصل في متابعة هذا السرد إلى أن تسجل قضية الاختلاء المحرم بينهما "... سجلوا في محضرهم اختلاء محرم ، واقتيد محمود إلى السجن. ونادوا على أبي جليلة لاستلامها"[٢١].

وهذا ذات المشهد في رواية " الحمام لا يطير في بريدة " حيث " فهد السيفلاوي" يقع في قبضة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن ركبت معه فتاة في سيارته ، وذهب معها إلى مقهي ستار بوكس قبل أن تقبض عليه الهيئة هناك بتهمة الاختلاء المحرم .

هكذا يمكننا القول أن المحيميد يرى أن حرية المرأة وحرية الرجل جزءان لا يتجزءان على اعتبار أن قضية المرأة ،قضية مجتمع لا قضية فرد ،وتحريرها يتم بالضرورة بالتزامن مع الرجل لا ضده ،مادام الخصم واحد،والغاية واحدة.

ونستطيع القول من خلال تتبع " التناصات الموضوعية والسياقية " في روايات " يوسف المحيميد " بأن التناص جاء في أربع صور:

أولاً : أن يستخدم النص المضمن كما هو بألفاظه ، أو بتعديل طفيف على العبارة لا يخرجها عن المعنى

ثانياً : أن يقوم بتعديل طفيف على النص يتحول به المعنى إلى معنى جديد ، أو يضيف للمعنى السابق.

ثالثاً : استيحاء النص من خلال ذكر الإحالة إلى النص المضمن .

رابعاً : أن يقتبس النص السابق في النص الجديد ، ويضعه بين علامتي تنصيص إشارة إلى أنه نص مقتبس.

مصادر التناص في روايات المحيميد :

تتنوع صور التناص وأنماطه في روايات يوسف المحيميد ، ويمكن أن نقسمها في رواياته إلى ما يأتي:

(أ) التناص الديني

استدعى " يوسف المحيميد " في رواياته المصادر الدينية مستحضراً فيها عمقها وصدقها في تناول الحياة من الناحية المضمونية؛ وكذلك نظراً لما تحققه من الانسجام والاتساق بين النص الحاضر ، والنص المحال إليه (النص الغائب) مما يجعل هذا التضمين أو الاقتباس يبدو وكأنه من أصل النص الحاضر.

وبالعودة إلى روايات " المحيميد " يمكن تقسيم التناص إلى الديني إلى نوعين أولهما : القرآن الكريم، وثانيهما : الحديث النبوي الشريف .

(١) التناص مع القرآن الكريم

من الطبيعي أن يستعين المحيميد كأي روائي إلى القرآن الكريم لكونه يشكل لأي شاعر أو ناثر، مصدراً مهماً ، وهو من أخصب المصادر على الاطلاق ، حيث يحوي الكثير من الدلالات والمعاني والمضامين البليغة ، والتي تميزه عن باقي الكتب البشرية .

ولا شك أن عودة الكتّاب والشعراء إلى الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم يمثل لهم قوة في نصوصهم، ويعطيهم قدرة على تكثيف الدلالة ، وإعطاء المعنى البسيط الذي يقصدونه دلالات كثيرة وعميقة ؛ لذلك وجدنا الكثير من الكتّاب يحرصون على التناص مع النص القرآني تعميقاً لنصوصهم .

ويخدم التناص القرآني رؤية الكاتب، التي يرصد فيها سكونية الواقع، ومضامينه السلبية ،وذلك عبر إشارته إلى الدواخل الإنسانية الممتلئة بالحركة التي لايتم توظيفها إلا في الدوائر السالبة ،غير المفيدة.

ومن التناصات المحتوية للحركة السالبة ما جاء في رواية " الحمام لا يطير في بريدة " عندما سمع فهد صوت إمام المسجد بجواره يقرأ من سورة " العاديات " عندما قال : " فسمع الإمام يقرأ في الركعة الثانية : أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور، وحصِّل ما في الصدور " (٢٢).

وتناص المحيميد في المقطع السابق مع قوله تعالى{ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ*وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ} (٢٣) . يؤكد بذلك أن حركة فهد حركة سالبة ، تساوي السكون تماما لكونها تتجاوز الأوامر الإلهية ، التي يفترض إطاعتها ؛ إذ نراه يفكر في المعصية حتى في وقت الصلاة.

وتكمن جمالية التناص القرآني في التواصل مع المصدر التشريعي والتنظيمي لحياة البشر ، وذلك لتدعيم أقواله ، وحواراته ، وبعض أفكاره التي يبثها في نصوصه الروائية حتى يعطيها صبغة من القبول والانسجام مع معطيات النص .

وفي تناص آخر في رواية " الحمام لا يطير في بريدة " يضمن المحيميد نصه آية قرآنية " فيا أخواني هداكم الله إن شرب الشيشة والمعسل والدخان بأنواعه من جملة المحرمات لما فيها من الأضرار الكثيرة التي أوضحها الأطباء ، ونهى عنها الله سبحانه وتعالى : يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات... " (٢٤).

فالحلال هنا يشكل حدود الحركة الشرعية للإنسان المسلم، والتي يرتبط تجاوزها بالحركة السالبة، إذ لا تحمل لصاحبها إلا العقاب .

وتتأكد رؤية الكاتب ،التي يشير فيها لرفضه للحركة السالبة المرتبطه بالعقاب (والتي لاتحمل أي تغيير) من خلال التناص القرآني الذي يوظف فيه قصة سيدنا آدم ،حين تجاوز الأوامر الإلهية، فأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ،

يقول " كان عليّ أن أغادر الجنّة ، جنّة القصر العظيم ، بعد سوأتي المشينة تلك ، وأن أهبط إلى الأرض مع أصحابي وأخواني في دار الحضانة " (٢٥).

ففي المقطع السابق يتضح لنا أن حركة سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ حركة سالبة ، كان عقابه عليها أن نزل من السماء إلى الأرض ؛ لأنها في الأصل قائمة على مفهوم خاطئ للتغيير المنشود.

يحذر الكاتب في تناصاته الدينية من الحركة السالبة ،التي تساوي في مضامينها السكون ، والتي لاتجلب لصاحبها إلا الألم والعذاب ،فكان من الطبيعي أن يتكرر عنده التناص المرتبط بالحساب والعقاب الرباني بعد الموت....يتذكر " فهد " مشهد العزاء " يدير السواك في فمه ، ويكر خرز المسبحة بإبهامه بطريقة آلية عجولة :(إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون) فيومها جاء رحمها الله " (٢٦).

هكذا يمكننا القول إن الكاتب ومن خلال إضاءته لتلك الجوانب الإنسانية المسكونة بالحركة ، والرغبة في التمرد والتغيير، في الدوائر التي يجب فيها إظهار الولاء والطاعة والرضوخ، يعلن عن افتقاده لمثل هذه الحركة في الدوائر التي يجب فيها التعبير عن الرغبة في التغيير. وجاء هذا التناص منسجماً مع المشهد ، ومتسقاً مع حال الشخصية وردة فعلها حيال حالة الموت ، محاولة لتخفيف وطأته .

وكان " المحيميد " في أغلب تناصاته مع آيات القرآن الكريم يضمنها كاملة دون يبدل في الكلمات حتى يستخدم الألفاظ القرآنية في معرض السرد ، وهو بذلك يريد تحقيق وظيفة التناص من حيث الغرض الموضوعي أو الفني الذي ضمنه من أجله ، مع الحفاظ على النص القرآني بقدسيته نصاً ومعنى .

(٢) التناص مع الحديث النبوي الشريف

يفيض التناص المرتبط بالأحاديث النبوية برؤية الكاتب المعبرة عن افتقاده للحركة الإيجابية ، التي يتجاوز بها حالة السكون و خارج القيمة التي يشعر بها تجاه المحيط الذي يعيش فيه .

وتناص " المحيميد " في رواياته كثيراً رواياته مع الحديث النبوي الشريف ؛ ليكسب المشهد الروائي إقناعاً أو ليعطيه حجة موضوعية تسد الفجوة السردية ، أو تصل به إلى النهاية في بعض المشاهد القصيرة أو الكلية في النص الروائي .

ومن هذه التناصات ماجاء في رواية " فخاخ الرائحة " عندما كان يصور مشهد مناسك الحج " هل سيؤدون حجاً صادقاً من غير رفث ولا فسوق ؛ لكي يعودوا إلى أهلهم كما ولدتهم أمهاتهم بذنب مغفور، وسعي مشكور، أي سعي يشكرون عليه وهم يقتلون فينا الروح والرجولة " [٢٧] .

وهو بذلك يتناص مع قوله تعالى : { فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}[٢٨] ، إذ يدعو الكاتب من خلال هذا التناص المجتمع إلى إعادة النظر في التناقضات التي تقوم عليها أسسه ، ومضامينه ؛ وصرح ذلك حينما قال : " أيّ سعي مشكور ، وهم يقتلون فينا الروح والجولة"

وحين يواصل " خالد " في استرجاعه لحياة خاله ، و يعرض لنشاطه التجاري ؛ فهو لم يأخذ الرشوة لأنه يعلم مسبقاً بأن من يأخذها عقوبته في النار ، ويؤكد على نزاهة (الخال) وأنه كان تاجراً شريفاً. " فلم يدفع رشوة مثلاً ، لأن ذلك حرام ؛ فالمرتشي والراشي في النار " [٢٩].

والتناص هنا ليس اعتباطاً بل هو يأتي اتساقاً مع الموقف الذي تعيشه " طرفة " حتى وكأن التضمين للحديث النبوي جاء من نسيج النص . " صاحت طرفة لحظة ذاك : كفاية يمه ، أرجوك خلاص الله يرحمه، ثم أضافت بصوت منطفئ : اذكروا محاسن موتاكم " [٣٠].

فالكاتب يدرك أن الحياة كي تكون صحيحة يجب أن نهز الضمير الاجتماعي ، ونحرك سكونه، وهذا ما يؤكده موقف " طرفة " ثم إن صوت " طرفة " المنطفىء ، يدل دلالة واضحة على أن الكاتب يخشى الموقف الصدامي مع المحيط ؛ لأنه يعلم أنه سيلاقي مواجهة وإدانة منه.

وكما نلحظ في المقطع السابق أنه يتناص مع الحديث النبوي الشريف " عن ابن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " اذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساويهم " [٣١]. (رواه أبو داود والترميذي)

(ب) التناص الأدبي

ويقصد به أن تتضمن بعض الروايات نصوصاً وآثاراً أدبية مختلفة ؛ من شعر ، أو رواية ، أو مقالة، أو فلوكلور...، ويتسرب هذا التضمين إلى الرواية . ولقد ظهر التناص الأدبي في روايات " يوسف المحيميد " بشكل كبير ، وتجلى في صور وأنماط عدة ، يمكن أن نقسم هذا النوع من التناصات إلى ما يلي :

(١) الشعر العربي

اجتمعت صورة التناص مع القصيدة العربية حين رجع في رواية " القارورة " إلى قصيدة " نزار قباني" : " قال لي في ليالٍ تلت ، إنني أجمل من ينضد الكلمات في جريدة المساء، حتى تتحول الكلمات إلى أقمار صغيرة، وقال إنني أخرج من الماء الحجر: أنتِ لستِ امرأة عادية. إنك الدهشة.. والتخمين.. والآتي الذي لا ينتظر .. كيف في لحظة كشف وتجلٍّ، تخرجين الماء من الحجر ؟ كيف في لمسة هدب .. تجعلين القمر الواحد مليون قمر " [٣٢]. وتناص آخر مع الشاعر " أبو القاسم الشابي " على لسان " محمد الساهي " الذي انخرط في التنظيمات الجهادية في أفغانستان " إذ يعلق فوق سريره في سكن العمال بيت شعر بخط يده[٣٣] :

ومن يتهيّب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

ويدل التناص في البيت السابق على رغبة الكاتب في إحداث التغيير في جميع مناحي الحياة ، هذه الرغبة التي بدت في صورة بحث عن التغيير في ذات الإنسان العربي ،الذي طوقته أشكال الحركة الساكنة.

ومن هذه التناصات ما قاله على لسان محمد " الذي انخرط في التنظيمات الجهادية في أفغانستان " إذ يعلق فوق سريره في سكن العمال بيت شعر بخط يده[٣٤] :

ومن يتهيّب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

فهو يريد من خلال هذا التناص الذي يعكس فيه بيت أبي القاسم الشابي بشكل حرفي، أن يدفع بالإنسان العربي من منطقة الصمت إلى منطقة الصوت ،ومن منطقة الغياب إلى منطقة الحضور، مما يعني أن الكاتب شديد الوعي بالشروخ التي يحدثها في جدران الواقع الذي يعيش فيه، فاستخدم أسلوب الوخز بالكلمات ، في فيض من الانفعالات التي تبدو ساكنة ،وغير جارحة.

وفي مقطع آخر من رواية " الحمام لا يطير في بريدة "على لسان بطل روايته" أعاد فهد الورقة ، وأخذ ورقة أخرى اصفّر لونها ، فأدرك أنها قصيدة عمودية طويلة ، قرأ مطلعها :

عبد ســـــرى في ليلة ظلماء هربا بتقواه من الفحشاء

هربا من الفتن التي حاطت به من فتنة السراء والضراء [٣٥]

(٢) الأغنية الشعبية

يمكننا القول إن التناص الذي خلقه المحيميد معتمدا على الأغاني الشعبية ، كان البوابة التي حاول من خلالها أن يبدأ حوارا مفتوحا فيما هو ممنوع(الحب)،وأن يزيل حواجز العقم التي لا يستطيع احد أن يفضحها ،وليظهر بالتالي رغبته في خلق واقع متحرك جديد.

و في رواية " الحمام لا يطير في بريدة " استحضر عدداً من الأغان الشعبية التي كان يرددها على لسان بطل الرواية " فهد السفيلاوي " :

" تقوى الهجر ، وش بقى لي عندك تدور لي عذر

لا تعتذر

تقوى الهجر .. ما نجبر من عافنا ما ينجبر... لا تعتذر... "[٣٦] .

في مقطع آخر من الرواية من رواية " الحمام لا يطير في بريدة " تأتي الأغنية الشعبية انعكاساً للحالة النفسية التي يعيشها :

" يا منيتي

يا سلا خاطري

وأنا أحبك يا سلام... "[٣٧] .

أما في رواية " القارورة " فلقد جاء التناص مع الأغنية الشعبية تماساً مع حالة تأملية ، وهي تمثل حالة متكررة في روايات المحيميد :

" ألا يا سيد كل الناس

جمالك جاب لي الوسواس

سبى عقلي من غير قياس

دخيلك يا كحيل العين " [٣٨].

وفي مقطع آخر من الرواية تتضمن الرواية مقطعاً من أغنية شعبية :

" تفضل واشرب الشاهي

بيالة شاهي ع الماشي

ولا تسمع قول الواشي

تفضل عندنا يا زين " [٣٩].

وهذا التضمين الكثيف للأغنيات الشعبية في روايات " المحيميد " يعكس التصاق الروائي بالواقع، ومحاولته الدائمة في أن يدفع المقدس عن مكوناته ، ورموزه، وأفكاره الجامدة التي قد تنبثق في كثير منها عن المعاني التراثية ، والصور النمطية التي تمثل الخلفية الثقافية والفكرية للناس .

و كان المحميميد لا يتناص في رواياته مع الأغنية الشعبية المحلية فقط ، بل كان يتناص مع الأغاني الشعبية العربية ، والتي راج استخدامها في العالم العربي " ... وعيناه مشرنقتان بعينيها الواسعتين : سألوني الناس عنّك يا حبيبي .. كتبوا المكاتيب وأخذها الهوا ! كانت أصواتهم تضج طرباً وفرحاً "(٤٠) .

والتناص في المقطع السابق يعكس حرص الروائي المحيميمد في التوازن مع واقعه المحلي والعربي، ليس من حيث عرض القضايا السياسية والاجتماعية ، بل حتى من خلال عرض الثقافات والمووروثات الشعبية بين الداخل والخارج .

(٣) التناص مع الأمثال الشعبية

ظهر التناص الأدبي المرتبط بالأمثال الشعبية في زوايات " المحيميد " بشكل كبير لا يمكن حصره والإلمام به، لكنه يرتبط على كثرته برؤية الكاتب الباحثة عن الحركة في دوائر السكون، ومن ذلك تضمين المثل الشعبي " كل شيء كان مكتوباً . صدقت أمي في مقولتها التي تحقق لها الأمان النفسي دائما : المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين"(٤١) .

إن في هذا المثل إشارة واضحة إلى محاولة المحيميد أن يحرر مجتمعه مما هو محاط به من سكون، قد شمل جميع مناحي الحياة فيه ، فحاول أن يجد أداة للتغيير، فتوجه وبطريقة غير مباشرة إلى العادات والتقاليد فيه التي تنعكس بصورة واضحة في الأمثال الشعبية، فوجد أن أصحاب هذه التقاليد يقدسون مافيه ...صدقت أمي في مقولتها...فضاعت جهوده سدى .

ويمكن من خلال هذه التناصات الأدبية السابقة نستطيع أن نحدد بعض ما تميزت به هذه التناصات، التي حرص " يوسف المحيميد " على تضمينها في رواياته، وهي على النحو الآتي :

أولاً : أن هذه التناصات التي تنوعت بين الاقتباسات والتضمينات جاءت مناسبة للمشاهد السردية والأحداث الفنية حتى جاءت وكأنها من نسيج النص .

ثانياً : أن هذه التناصات تميزت بأنها كانت تعبر عن رؤى المجتمع واهتماماته ، وتعطي انطباعاً واضحاً عن تكوين ثقافته ، وتشكيل مزاجاته .

ثالثاً : أن هذه التناصات الأدبية الكثيرة في روايات " يوسف المحيميد " كانت تمثل في حقيقتها الانعكاس العاطفي والنفسي للشخصيات الروائية ، والتي هي تمثل شخصيات مجتمعية تعكس المزاج العام .

(ج) التناص التاريخي

ونقصد بالتناص التاريخي هو استحضار الأحداث والمناسبات والشخصيات التاريخية في الرواية ، واستدعاء أفكارها أو مواقفها أو أقوالها بشكل مباشر أو غير مباشر .

ويمكن تقسيم التناص التاريخي في روايات المحيميد إلى نوعين أحدهما : تناص مع الأحداث التاريخية، وثانيهما : تناص مع الشخصيات التاريخية .

(أ) التناص مع الأحداث التاريخية

نلحظ حضوراً كثيفاً للمشاهد والوقائع التاريخية في روايات " يوسف المحيميد " خصوصاً الأحداث السياسية التي وقعت في الخليج العربي خلال العقود الأربعة الماضية.

وتميزت روايات المحيميد بأنها تتناص مع أحداث تاريخية وسياسية مرت بها منطقة الخليج العربي بشكل عام ، والسعودية بشكل خاص ؛ حيث جاءت رواية " الحمام لا يطير في بريدة " مع أحداث فتنة جيهمان في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، وتتناص رواية " القارورة " مع أحداث حرب الخليج الثانية بدءاً من عام ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م . حيث جاءت أحداث الروايتين متزامنتين مع هذه الوقائع التاريخية راصدة الفعل وردة الفعل .

ففي رواية " الحمام لا يطير في بريدة " مشهد مغادرة " كنت أظن أنني سأعود يوماً من المدرسة ، فلا أجد أمي ، خاصة حين رحل أهلها إلى عمّان وقت الأردنيون

والفلسطينون واليمنيون من السعودية، فقد كان بيان الأردن بأن الحرب على العراق هي حرب على الأمة العربية ، بيان نحس تسبب في طرد أهلي..." [٤٢].

وفي رواية " القارورة " تناص آخر صّور فيه " المحيميد " المشهد نفسه حين بدأت تتسارع أحداث الغزو العراقي للكويت ؛ ففي هذه الرواية يتحدث " المحيميد" عن ردة فعل اليمنيين في حرب الخليج في السعودية " هكذا الدول وهي تتخذ قرارتها عاطفياً مع غزو الكويت أم ضد ذلك !مع وجود قوات أجنبية في المنطقة أم ضد ذلك ؟ مع اقتراح قوات عربية أم ضد ذلك ؟ هكذا فر اليمنيون خاسرين أحلام عشرات السنين " [٤٣].

وفي رواية القارورة يكرر مشهد التناص مرة أخرى " كان اليمنيون يتخلصون من تجارتهم سريعاً ، ويركبون سيارات نقل صغيرة مملوءة بأغراضهم الشخصية وأحزانهم، سالكين طريق الجنوب في هجرة جماعية إلى صنعاء، وقرى يمنية في الجبال "[٤٤] .

تتناص الروايتان في صورة الحدث (مشاهد حرب الخليج) وخروج بعض الجنسيات العربية من السعودية نتيجة لردود الفعل السياسية المختلفة تجاه هذه الحرب ، ولم يك يفصل تجربة المرأة وحرية الرجل ؛ فهما جزءان لا يتجزآن في روايات المحيميد ،على اعتبار أن قضية المرأة، قضية مجتمع لا قضية فرد وتحريرها يتم بالضرورة بالتزامن مع الرجل لا ضده، مادام الخصم واحداً، والغاية واحدة.

وكان " المحيميد " لصيقاً بأحداث مجتمعه ، وحريصاً على أن لا يبدو منحازاً لرأي معين تجاه هذه الأحداث فكان يعرض الفعل وردود الفعل المختلفة ، داعياً إلى مراجعة هذه الوقائع التاريخية ، واستلهام العظات والعبر منها ؛ حيث إن مشاهد التاريخ تكرر نفسها من عصر آخر مع اختلاف مسبباتها وتداعياتها والظروف المحيطة بها .

ولعل أشهر هذه الأحداث هي حادثة محاولة مجموعة من النساء قيادة المرأة للسيارة ، حيث وردت في أكثر من رواية من رواياته " كان كل شيء صامتاً وغافياً ،

بينما عدة نساء بلغن السبع والأربعين امرأة كنّ يتجمعن عند مركز التميمي التجاري ، وأخرجن السائقين الباكستانيين والهنود والبنغاليين والأندونيسيين من قمرات القيادة ، وجلسن مكانهم أمام المقود، وسط ذهولهم ودهشتهم"[٤٥].

والحديث عن قيادة المرأة للسيارة في كثير من الروايات السعودية المعاصرة ، ومن هؤلاء الروائيين يوسف المحيميد ؛ حيث لا تكاد تخلو رواية من رواياته في التعريض لموضوع قيادة المرأة للسيارة ، بل وتكرر في روايتين استحضار قضية خروج النساء في عام ١٩٩٠م ، ومطالبتهن بقيادة المرأة للسيارة في تناص مباشر مع الحادثة نفسها .

وكما أدان المحيميد سكونية القيم السائدة في المجتمع نجده يهاجم سكونية الأوضاع السياسية العربية، من خلال مهاجمته للعرب، وتحميلهم مسؤوليات الهزائم، المتمخضة عن جهلهم وكسلهم ففي رواية القارورة يقول :هكذا الدول وهي تتخذ قراراتها عاطفيا مع غزو الكويت أم ضد ذلك؟ مع قوات أجنبية في المنطقة أم ضد ذلك؟ مع اقتراح قوات عربية أم ضد ذلك؟ هكذا فر اليمنيون خاسرين أحلامهم عشرات السنين" ويتكرر المشهد ذاته مرة أخرى:"كان اليمنيون يتخلصون من تجارتهم سريعا ويركبون سيارات نقل صغيره مملوءة بأغراضهم الشخصية وأحزانهم سالكين طريق الجنوب في هجرة جماعية إلى صنعاء".

وجاء في رواية القارورة تصور دقيق لهذه الحالات" الضربات الأولى تجاه بغداد كانت ضربات جراحية كما يسميها الإعلام ، والنقل الحي للضربات يشبه ألعاب الأطفال ، كان الرعب يملأنا من احتمال أن تقتحم الغازات السامة بيوتنا "[٤٦].

كان " المحيميد " شغوفاً في رواياته بعرض صور ومشاهد من الصراعات الفكرية، بحيث كان يوظفها في رواياته ، ومن ذلك عرضه لقضية استعانة دول الخليج بالقوات الأجنبية لتحرير الكويت من الغزو العراقي الغاشم ، وكيف أحدث ذلك ردة فعل

مجتمعية كبيرة ، حيث رفض بعض المتدينين الاستعانة بالكفار ، ودخول بلاد المسلمين .

وهذه الصورة وردت في رواياته بشيء من الاختزال تارة ، وشيء من التفصيل والتحليل مرة أخرى ، وفي كلتا الحالتين كان يعارض " إن دخول القوات الأجنبية يعد كفراً وموالاة لهم ، فلا يجوز أن يدخل الكفار بلاد المسلمين، بل يجب أن نطردهم شر طردة ، كما يجب القضاء على من يوالي الكفار من العلمانيين والحداثيين، ويجب أن نفضح هؤلاء النساء الساقطات اللاتي يطالبن بحقوق وقيادة سيارة ، ويطالبن بأن تشيع الفاحشة بين نساء المسلمين ، قاتلهن الله .. " (٤٧).

والتناصات السابقة تكشف عن شعور بإحباط كبير، أشعله الواقع السياسي المنكسر والمنهزم، والذي يكتفي بالمشاهدة ، ولا يفكر بالتغيير.

ورغم حرص " المحيميد " في أعماله على التنويع إلا أنه كان يقع في التكرار ، حتى في تناوله لقضية قيادة المرأة للسيارة فلقد كان يعيد ما يتكرر في أحاديث العامة وفي الصحف والمجلات ، بحيث لم تبرز رواياته رؤية جديدة في تناول قضية قيادة المرأة للسيارة ، ولم تقدم صورة مختلفة عن ما يعرض من تسجيل تاريخي لحادثة خروج النساء في عام ١٩٩٠م ، أو لما يتكرر في كتابات الصحفيين والناشطين في حقوق المرأة .

ولكن يبقى ما يبرز قيمة تناوله في لقضية المرأة للسيارة ، هو حرصه على تسجيل لحظة قيادة المرأة للسيارة في رواية " القارورة " من خلال ما جاء على لسان بطلة روايته " منيرة الساهي " واشتراكها في هذه القضية كانت من النساء اللاتي خرجن في هذه المظاهرة . " ... فقد كثر حديث الناس عن قيادة المرأة للسيارة ، ومعلوم أنها تؤدي إلى مفاسد لا تخفى على الداعين إليها ، ومنها الخلوة المحرمة بالمرأة ، ومنها السفور ، ومنها الاختلاط بالرجل بدون جدار... " (٤٨).

ومن هذه الأحداث التي تتكرر في روايات " المحيميد " أحداث الحادي عشر من سبتمبر لعام ٢٠٠١م " ما زال فهد يستعيد ذكرى يوم الحادي عشر من سبتمبر كان في محل البسّام بشارع العليا يبحث عن جهاز ماكروويف رخيص ، وكانت شاشات التلفزيونات مضاءة ، ولقد لفته تجمع مجموعة من الشباب متوسطي العمر واقفين بذهول أمام الشاشة، وهم يرون الطائرات المدنية وهي تتفجر في برجي التجارة العالمية "[٤٩] .

ومن صور التناص التاريخي ؛ التناص مع الأحداث الاجتماعية التي حدثت في السعودية ، فقد ضمن في روايته " الحمام لا يطير في بريدة " حادثة تورط أحد الرقاة الشرعيين في قتل مريضة من سكان محافظة المخواة في منطقة الباحة ، ونشرتها جريدة الوطن في ٢٩ أغسطس ٢٠٠٦م ، حيث ضمن نص الخبر كاملاً ، وموثقاً بتضمينه من الصحيفة [٥٠].

(٢) التناص مع الشخصيات التاريخية

استحضر المحيميد في رواياته كثيرا عدداً كبيراً من الشخصيات الإبداعية أو التاريخية ، ومن هذه الشخصيات شخصية الرسام الهولندي الشهير" فينسنت فان جوخ " حيث استدعى " المحيميد " شخصيته في روايتين من رواياته ؛ ففي رواية " فخاخ الرائحة عبر بها عن حالة " طراد " مقطوع الأذن وقارن بينه وبين الفنان الهولندي" فان جوخ يا غبي ، هذا هولندي قطع أذنه، وأهداها لحبيبته"[٥١].

وفي مقطع آخر من الرواية " مثل هذا الذي يعيش في هولندا لن يرسم إلا أشجاراً وحقولاً وأزهاراً، ما له وما للصحراء والنوق والذئاب ، ولكن هل فعلاً قطع أذنه وأهداها إلى امرأة ، مجرد امرأة ؟ "[٥٢] .

وتستحوذ شخصية " فان جوخ " على ذاكرة المؤلف حتى تصبح مرجعية للشخصية الروائية في صورة مكررة ومملة." تذكر الموظفين الذين شبهوه بفنان هولندي اسمه فان جوخ قطع أذنه وأهداها لحبيبته"[٥٣].

ولا أجد مسوغاً لتكرار التناص مع شخصية " فان خوج " إلا أنه بمثابة إعادة توظيف لها في سياق النص الجديد ، محاولاً إيجاد علاقة بين " فان جوخ " وبطل روايته " طراد من خلال إيجاد علائق متنوعة تربط بين الشخصيتين. " ثم تذكر أنها لوحة للهولندي فان جوخ تصور فترة قيلولة الفلاحين قرب تل من العشب المحصود واليابس "[٥٤] .

والتناص في روايات المحيميد يوضح بشكل أو بآخر مدى حيوية نصوصه الروائية وتفاعل بعضها مع بعض ، وكذلك يلحظ تتبع انتقالها من عصر إلى عصر وفق السياقات التي تتبعها من حيث علاقة الاحتكاك المضموني أو الشكلي حيث إن نصوصه في مضمونها مجموعة من الصور التي تمثل مجموعة من الثقافات المحلية والسياقات والأنماط والرموز ، ولذلك وجدنا أن التناص في روايات كثير من الشفرات الثقافية التي تحيل إلى هذه النصوص مرجعياً؛ لتكسبها قبولاً وإقناعاً .

الخاتمة

إن روايات " المحيميد " كانت تحاور بعضها تارة ، وتحاور نصوصاً خارجية تارة أخرى، غير أن " المحيميد " استطاع أن يحتفظ بخصوصية لنصوصه الروائية التي جاءت محملة بالكثير من الدلالات ، وفاعلة ومتفاعلة مع العالم الواقعي ، ومع الأحداث التاريخية .

ومن خلال هذه التناصات كان يشير إلى القسوة التي أصابت قلوب الناس وافتقادهم للدفء العاطفي، وإن ظهر من شعر بقوة الموت وما يتولد عنه من ألم، فسيكون ضمن هذا المجتمع غريبا ومنبوذا، مما يضطره إلى أن يكتم ألمه، وينفس عنه بصمت، ففي رواية "الحمام لا يطير في بريده "يتكرر مشهد مغسلة الموتى في ثالث رواية من روايات المحيميد" دخلت زوجتا العم ، أم ياسر، أم معاذ، وهما تصحبان لولوة إلى المغسلة، فيما جلس فهد مقرفصا، وقد لف غترته حول وجهه، وطفق يبكي بلا صوت".

ويؤكد" المحيميد" سمة السكونية ، التي يعاني منها المجتمع العربي من خلال قضايا المرأة ، إذ نجده يشير من خلال أكثر من شريحة تناصية، إلى معاناتها المستمرة، والنظرة الدونية التي كرسها هذا المجتمع الذي ينظر إليها من عل في فترات متفاوتة ويظهر ذلك من خلال أحداث قيادة المرأة للسيارة، حيث لا تكاد تخلو رواية من رواياته في التعريض لموضوع قيادة المرأة للنسيارة، واستحضر أكثر من مرة قضية خروج النساء في عام ١٩٩٠م،ومطالبتهن بقيـ دة المرأة للسيارة في تناص مباشر مع الحادثة والتفاصيل نفسها. ولعل الكاتب في هذا التناص، يهدف إلى إدانة ذكورية المجتمع العربي، ويبسط قضية من قضايا المرأة، كقضية ملحة.

إن إشارة الكاتب المستمرة إلى عدم تفاعل المجتمع مع قضايا المرأة ، ونظرته السلبية لها ، تحمل في باطنها إدانة لهذا المجتمع الذي يكتفي بالمشاهدة ،فهو يريد ألا يخضع لمنظومة الأفكار والتقاليد وتجليات التهميش، بل يتحرر من الرتابة في نظام العلاقات الاجتماعية، التي أحكمت حلقتها السلطة الذكورية، فخلفت ساحة واسعة من العقد المكبوتة ،وانتهى الأمر بأن وضعت المرأة على الهامش، كعنصر من عناصره الساكنة.

يدين الكاتب في جميع تناصاته السكون والجمود، ويبحث باستمرار عن الحركة، والتغير، والنضج الفكري. فيحاول أن يسقط صفة القداسة عن الأخلاق الموروثة، ويتخلص من مراجعه الاجتماعية حتى في العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة. فكان من الطبيعي أن تظهر لديه المشاهد التي يحاول فيها كل من المرأة والرجل التخلص من سلطة المجتمع وجبروته. والمتمثلة بالاختلاء المحرم...."طاف بها كورنيش جدة، وقبل أن يستقر في مواجهة البحر اعترضنهما سيارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....." "سجلوا في محضرهم اختلاء محرم، واقتيد إلى السجن، ونادوا على أبي جليلة لاستلامها" وهذا ذات المشهد في رواية"الحمام لا يطير في بريده "حيث فهد السيفلاوي" يقع في قبضة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن ركبت

معه فتاة في سيارته، وذهب معها إلى مقهى ستار بوكس قبل أن تقبض عليه الهيئة هناك بتهمة الاختلاء المحرم"

حرص المحيميد في تناصاته على تحرير عناصر المجتمع من كافة أشكال القمع، التي فرضتها نظم الأخلاق ، وأراد تحريرها من الخوف والتسلط، اللذين يقوم بهما الوعي الاجتماعي على ذواتنا.

هكذا تتبدى لنا رؤية الكاتب ،التي أبرزتها فعاليات التناص ،إنها رؤية تهدف إلى التخلص من الدلالات السلبية التي ظهرت في ترسيخ رؤيا فكريه جامدة في ذهن الإنسان العربي، وإخراجه من حيز السكون والتبلد إلى حيز الفاعلية.

الهوامش

[1] هو كاتب صحفي ، وروائي وقاص سعودي ، ولد في عام ١٩٦٤م في مدينة الرياض ، وصدر له في القصة " ظهيرة لا مشاة لها " و " لغط الموتى " و " أخي يفتش عن رامبو " . وصدر له في الرواية " فخاخ الرائحة " ، ورواية " القارورة "، ورواية " نزهة الدلفين " ، ورواية " الحمام لا يطير في بريدة " . حوار على البريد الإلكتروني مع الروائي .

[2] لو أردنا تحديد مفهوم التناص لغة فإننا نعيده إلى مادة (ن ، ص ، ص) وهي تدل على الإظهار والإفصاح ، وقال ابن دريد : نصصت الحديث أنصه نصاً أي إذا أظهرته " (للمزيد : ينظر ابن دريد ، جمهرة اللغة ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ص ١٠٢ . وجاء في لسان العرب من مادة " ن ، ص ، ص " النص : هو الرفع، ونصك الشيء ، نص الحديث الحديث ينص نصاً أي رفعه ، وكل ما أظهر فقد نص ، وتعنى أيضاً منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها " (للمزيد ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، بيروت : دار صادر ، ص ٩٧ – ٩٨

أما معناه الاصطلاحي : فهو تعريب للمصطلح الإنجليزي Intertextuality وقد ترجم إلى هذا المصطلح إلى التناص، وأحياناً أخرى إلى بينصة .

[3] حمودة ، عبد العزيز (١٩٩٨م) المرايا المحدبة ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢) ، ط ١ ، ص ٣١٦

[4] حمودة ، عبد العزيز، مرجع سابق ، ص ٣٢١

[5] المرجع السابق ، ص ٣٥ .

[6] لحميداني ، حميد (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) التناص وإنتاجية المعنى ، مجلة علامات ، ج ١ ، مج ١٠ ، ص ٧٨ .

[7] متولي ، عبد السميع مرجع سابق، ص ٢١– ٢٢

[8] بقشي ، عبد القادر (٢٠٠٧م) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، المغرب : أفريقيا الشرق، ط ١ ، ٥١– ٥٢.

[9] المرجع السابق

[10] مفتاح ، محمد (١٩٩٢م) تحليل الخطاب الشعري ، الرباط : المركز الثقافي العربي ، ط ٣ ، ص ١٢٥

[11] المحيميد ، يوسف (٢٠١١م) الحمام لا يطير في بريدة ، المغرب : المركز الثقافي العربي، ط ٤، ص ٧١

(12) لحميداني ، حميد ، التناص وإنتاجية المعنى ، ص ٦٨ .

(13) المحيميد ، يوسف (٢٠٠٦م) القارورة ، المغرب : المركز الثقافي العربي، ط ٢ ، ص ٤١

(14) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٨٧

(15) المحيميد ، يوسف ، القارورة ، ص ٤١

(16) المحيميد ، يوسف ، القارورة ، ص ٤١

(17) المحيميد ، يوسف (٢٠٠٦م) نزهة الدلفين ، بيروت : رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ص ٨٣

(18) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٣٢٥

(19) لحميداني ، حميد (٢٠٠٠م) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المغرب : المركز الثقافي العربي، ط ٣، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(20) خال ، عبده (٢٠٠٦) فسوق ، بيروت : دار الساقي ، ط ٣، ص ٧٦ .

(21) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(22) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٢١٥

(23) سورة العاديات : ٩ـ ١٠

(24) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٣٥٣

(25) المحيميد ، يوسف (٢٠٠٦م) فخاخ الرائحة ، بيروت : رياض الريس للكتب والنشر، ط ٢ ، ص ١٠٢

(26) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٣٠٢

(27) المحيميد ، يوسف ، فخاخ الرائحة ، ص ١١٠

(28) سورة البقرة : ١٩٧

(29) المحيميد ، يوسف ، نزهة الدلفين ، ص ٥٧

(30) المحيميد ، يوسف الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٢٣٩

(31) سن أبو داود : ص ٤٩٠٠ .

(32) المحيميد ، يوسف القارورة ، ص ٢٧

(33) المصدر السابق ، ص ٥٧

(34) المصدر السابق ، ص ٥٧

(35) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٢٥٠

(36) المصدر السابق ٤، ص ١١

(37) المصدر السابق، ص ١٥٨

(38) المحيميد ، يوسف (٢٠٠٦م) القارورة ، المغرب : المركز الثقافي العربي، ط ٢ ، ص ١٣٤

(39) المصدر السابق ، ص ١٣٤

(40) المحيميد ، يوسف ، نزهة الدلفين ، ص ١٠٧

(41) المحيميد ، يوسف ، القارورة ، ص ٢٠٧

(42) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٦٣

(43) المحيميد ، يوسف ، القارورة ، ص ١٥٧

(44) المحيميد ، يوسف ، القارورة ، ص ١٥٦

(45) المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(46) المحيميد ، يوسف ، القارورة ، ص ٩٤

(47) المصدر السابق ، ص ١٦٠

(48) المحيميد ، يوسف ، القارورة ، ص ٩١.

(49) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ٢٠٦

(50) المصدر السابق، ص ٣١٠

(51) المحيميد ، يوسف ، فخاخ الرائحة ، ص ١٥

(52) المصدر السابق ، ص ٢٢

(53) المحيميد ، يوسف ، فخاخ الرائحة ، ص ٢١

(54) المحيميد ، يوسف ، الحمام لا يطير في بريدة ، ص ١٩٧.

المصادر والمراجع

١- بقشي ، عبد القادر (٢٠٠٧م) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، المغرب: أفريقيا الشرق، ط ١ .

٢- تودورف ، تزفيان (١٩٩٦م) ميخائيل باختين والمبدأ الحواري ، تر . صالح، فخري ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ .

٣- حمودة ، عبد العزيز (١٩٩٨م) المرايا المحدبة ، الكويت: سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢) ، ط ١.

٤- خال ، عبده (٢٠٠٦) فسوق ، بيروت : دار الساقي ، ط ٣ .

٥- الجرجاني ، عبد القاهر (د . ت) أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، جدة : دار المدني .

٦- ابن دريد ، (١٣٩٢م) جمهرة اللغة ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع .

٧- عزام ، محمد (٢٠٠١م) النص الغائب ... تجليات التناص في الشعر العربي الحديث ، دمشق: منشورات اتحاد العرب .

٨- العسكري ، أبو هلال (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) كتاب الصناعتين ، بيروت : دار الكتب العلمية، ط ٢ .

٩- الغذامي ، عبد الله (١٩٩٤م) القصيدة والنص المضاد ، بيروت : المركز الثقافي العربي، ط ١ .

١٠- الغذامي ، عبد الله (١٩٩٣) ثقافة الأسئلة ... مقالات في النقد والنظرية، الكويت : دار سعاد الصباح ، ط ٢ .

١١- القيرواني ، ابن رشيق (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، لبنان ، دار الجيل .

١٢- لحميداني ، حميد (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) التناص وإنتاجية المعنى ، مجلة علامات ، ج ١ ، مج ١٠ .

١٣- متولي ، عبد السميع (٢٠١٤م) التناص اللغوي... نشأته وأصوله وأنواعه، دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ط ١ .

١٤- المحيميد ، يوسف (٢٠١١م) الحمام لا يطير في بريدة ، المغرب : المركز الثقافي العربي .

١٥- المحيميد ، يوسف (٢٠٠٦م) القارورة ، المغرب : المركز الثقافي العربي، ط ٢ .

١٦- المحيميد ، يوسف (٢٠٠٦م) نزهة الدلفين ، بيروت : رياض الريس للكتب والنشر، ط ١ .

١٧- المحيميد ، يوسف (٢٠٠٦م) فخاخ الرائحة ، بيروت ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط ٢ .

١٨- مفتاح ، محمد (١٩٩٢م) تحليل الخطاب الشعري ، الرباط : المركز الثقافي العربي ، ط ٣ .

١٩- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (د . ت)، لسان العرب، ج ٧ ، بيروت: دار صادر